



٢٠٠١ في ٦ آذار

إلى إخوتي الخمسة

«ما بالكم خائفين هذا الخوف؟ ألي الآت لا إيهات لكم؟» (مرقس ٤: ٤)
«فإن الله لم يعطنا روح الخوف بل روح القوة والمحبة والفتنة» (طه ٧: ١)

ما بالكم خائفين هذا الخوف؟ قد يبدو سؤال السيد المسيح لתלמידيه، للوهلة الأولى، على شيء من الغرابة. أليس من الطبيعي أن يخاف المرء، أمام الخطر والموت؟ نعم، ولكن ما ينتظره المسيح من تلاميذه أنه يرتفعوا إلى ما فوق الطبيعة ولو بعض الشيء، يتوقع منهم أن يعيشوا في الإيمان. لأجل ذلك أتيح سؤاله الأول بسؤال آخر يحمل في طياته بعض التحجب والعتب قائلاً: «ألي الآت لا إيهات لكم؟» «أما أدركتم بعد كل مسيرة تنا معاً في معكم بل اني فيكم وانتم فيّ؟» الخوف في نظر المسيح يحمل في طياته ما يتناقض والإيمان. الخوف يعمي بصيرتنا فننشغل بها هو آمن. هو يجعلنا ننسى حقيقة ما نحن عليه في عمق ذاتنا، ينسينا إننا «هيكل الروح القدس» وإن «ملكتوت الله في داخلنا»، وإننا خلقنا على صورة الله ومثاله». الخوف يجعلنا ننغلق على ذاتنا ونبني حواجز بين الآخر وبيننا متناسين إن الآخر أيضًا «هو هيكل الروح القدس...» وإنه خلق على صورة الله ومثاله». الخوف يدفع إلى التردد والإحجام عن الالتزام في الحياة. إن في الخوف شيء من الموت في وقت أن في الإيمان ثقة وإقدام. الخوف يقود في نهاية المطاف إلى العنف والموت، انه يعمي البصيرة ويُكبل الإنسان. الخوف ينسيني حقيقتي فيغيب عن ذهني «إن الله لم يعطني روح الخوف بل روح القوة والمحبة والفتنة».

القوة والمحبة والفتنة مثلت ينبض بالحياة الحقيقية، الفتنة وعي لحقيقة ما أنا عليه، إن الله معي وفي وعلي صورته خلقت، وأنني في مسيرة نحوه. الفتنة تجعلني أعي إيماني فأذكّر أنني، مع الخوف الذي هو جزء من الطبيعة، أحمل يسوع المسيح ابن الله في ذاتي، «وأنني لست أنا الذي بل هو حي فيّ». والمحبة انفتاح وتفات في سبيل الآخر، إنها التقاء بين صورة الله التي في صورة الله التي فيه، التقاء في الله الذي هو محبة. إنها انتقال من الموت إلى الحياة «نحن نعلم أننا انتقلنا من الموت إلى الحياة لأننا نحب إخوتنا، ومن لا يحب

بقي رهن الموت». (أيو ٣: ١٤)

والقوّة هي اللحمة التي تجعلني أثابر في وعي ما أنا عليه وفي انفتاحي وصديقي وتفاني، فلا تخور قوّاي أمام المصاعب أو أفقد الأمل في حال فشلت، إنها الثقة

المقيقة في النفس وفي الله، هذه هي حضارة الحياة. إنَّ كُلَّ الخوف يضعنِي على طريق الانهيار والموت، فالثقة التي هي وليدة الفطنة والمحبة والقوَّة تجعلني أعيش في حضارة القيامة.

إنَّ في قصة تهدئة العاصفة شاهد على مسيرة كلِّ ما في هذه الحياة. عندما تواجهنا العبرة والمصاعب ليست ردَّ فعلنا الأولى هي الخوف كُلُّها حدث للتلاميذ؟ وكأنَّا نسياناً إلينا هياكل الروح القدس وإنما مدعوون إلى أنَّ «نتقى في ربٍ وفي قدرته العزيزة»؟ (أفسس ٦: ١٠) مدعوون إلى أنَّ نوقظ الله الساتر في أعماق ذواتنا والذي يجعل حياتنا فيسكن العاصفة في نفوسنا وينقلنا من الخوف إلى الثقة، وتنذرَ «إلينا لسنَا فرباءً أو نزلاءً بل نحن من ابناء الله ووطنه القديسين ومن أهل بيت الله»؟ (أفسس ٢: ١٩).

الموت الجسدي نهاية ليس لنا ما نقوله أو نقرره فيها ، وهو بالنسبة اليـنا ، نحن الذين اعتيمـنا بـيسوع المـسيـح ، الـلوـجـ إلىـ الحـيـاةـ الجـديـدةـ الدـائـيـةـ والنـهـائـيـةـ فيـ اللهـ . لـذـلـكـ يـبـقـيـ الأـقـمـ بـالـنـسـبـةـ إـلـىـ الـمـؤـمـنـ الـمـسـيـحـيـ انـ يـعـيشـ حـيـاتـهـ كـلـهاـ فيـ رـوـحـ قـيـامـيـةـ تـجـدـيـةـ فيـ اللهـ ، بـعـيـداـ عـنـ رـوـحـ الخـوـفـ الذـيـ يـجـعـلـنـاـ نـتـرـدـ وـنـنـغـلـقـ عـلـىـ اـنـفـسـنـاـ وـنـنـعـزـلـ وـكـانـنـاـ فـيـ غـرـبـةـ عـنـ اللـهـ وـعـنـ ذـوـاتـنـاـ المـقـيـقـيـةـ .

بعد ما مات المـسيـحـ وـظـنـ التـلـامـيـذـ إـنـهـ غـابـ عـنـ حـيـاتـهـ ، تـهـلـكـهـ الخـوـفـ فـأـغـلـقـواـ الأـبـوـاـبـ عـلـىـ ذـوـاتـهـ وـنـعـزـلـوـاـ «خـوـفـاـ مـنـ الـيـهـودـ» . وـعـنـدـمـاـ اـتـيـ الـيـهـمـ مـنـ جـدـيدـ «فـرـحـواـ» لـمـشـاهـدـتـهـ . لـقـدـ نـقـلـهـ حـضـورـهـ مـنـ الخـوـفـ إـلـىـ الـفـرـحـ . وـالـتـلـمـيـذـانـ الـلـذـانـ فـقـدـ كـلـ أـمـلـ وـتـرـكـاـ اـوـرـشـلـيمـ عـائـدـيـنـ إـلـىـ بـلـدـهـمـ عـامـاـوـسـ «مـكـتـبـيـنـ» ، عـنـدـمـاـ سـارـعـهـمـ وـفـسـرـ لـهـاـ الـكـتـبـ ... فـتـحـتـ اـعـيـنـهـمـ وـعـرـفـاهـ . (لـوـقاـ ٤ـ:ـ ٣ـ١ـ - ٤ـ:ـ ٣ـ١ـ)

هـذـاـ يـعـنـيـ أـنـهـمـ كـانـاـ فـيـ حـالـ مـنـ الـغـيـبـوـةـ وـالـضـيـاعـ وـفـقـدـاتـ الـبـصـيرـةـ ، فـفـيـ مـسـيـرـتـهـ مـعـهـمـاـ وـوـلـوـجـهـ إـلـىـ دـاخـلـ بـيـتـهـاـ وـمـجـالـسـتـهـ لـهـمـ بـدـدـ مـنـهـمـ ذـاكـ الـإـلـكـنـيـاتـ الـمـكـبـلـ وـوـضـعـهـمـاـ عـلـىـ طـرـيقـ الـعـوـدـةـ إـلـىـ الـحـيـاةـ مـنـ جـدـيدـ ، طـرـيقـ الـعـوـدـةـ إـلـىـ اـوـرـشـلـيمـ ، الـعـوـدـةـ إـلـىـ ذـوـاتـهـاـ وـالـيـهـ ، إـلـىـ خـدـمـةـ النـاسـ وـالـشـهـادـةـ لـلـقـيـامـةـ . لـقـدـ نـقـلـهـمـاـ ، حـيـنـمـاـ عـرـفـاهـ ، مـنـ الـيـأسـ وـالـإـلـكـنـيـاتـ إـلـىـ حـالـ مـنـ الـرـجـاءـ وـالـثـقـةـ ، فـكـانـهـ اـقـامـهـمـاـ مـنـ مـوـتـهـاـ الـرـوـحـيـ إـلـىـ الـحـيـاةـ الـقـيـقـيـةـ الـتـيـ مـاـ عـادـاـ مـنـ بـعـدـهـ يـعـرـفـانـ الخـوـفـ ، بـلـ رـاحـ كـلـ مـنـهـمـاـ يـحـمـلـ الـبـشـارـةـ وـيـوـاجـهـ رسـالـتـهـ فيـ الـحـيـاةـ غـيرـ آبـهـ بـالـسـجـنـ وـالـاضـطـهـادـ وـغـيرـ خـائـفـ حـتـىـ مـنـ الـمـوـتـ . لـمـ يـعـدـ الـمـوـتـ الـجـسـديـ يـخـفـهـاـ لـأـنـهـمـاـ وـعـيـاـ حـقـيـقـةـ حـضـورـ اللـهـ مـعـهـمـاـ وـهـوـ يـرـافـقـهـمـاـ فـأـدـرـكـاـ «أـنـ اللـهـ أـعـطـاهـمـاـ رـوـحـ الـقـوـةـ وـالـمـحـبـةـ وـالـفـطـنـةـ» ، وـكـانـيـ بـرـحـلـةـ حـيـاتـهـاـ قـدـ أـتـمـتـ فـانـتـقـلاـ مـنـ الخـوـفـ وـالـيـأسـ إـلـىـ الـفـرـحـ وـالـثـقـةـ ، مـنـ حـالـ الـمـوـتـ إـلـىـ حـالـ الـقـيـامـةـ . هـذـهـ دـعـوـتـنـاـ وـهـذـهـ هـوـ التـحدـيـ . فـلـنـضـرـعـ إـلـىـ اللـهـ وـنـعـيـلـ مـعـهـ لـيـوـقـنـاـ هـوـ مـنـ غـيـبـوـتـنـاـ ، وـيـنـقـذـنـاـ مـنـ الخـوـفـ ، وـيـحـرـنـاـ مـنـ الـعـبـودـيـةـ وـالـأـنـانـيـةـ ، إـذـ أـنـ فـيـ هـذـهـ كـلـهـاـمـوتـ ، وـفـيـهـ هـوـ وـحـدهـ الـقـيـامـةـ .

البطران بولس صيّاح

رئيس أساقفة حيفا والأراضي المقدسة